www.allamahrizvi.com

٣١

1000th ANNIVERSARY
INTERNATIONAL CONGERESS
OF (SHEIKH MOFEED)

المقالات والرسالات

المؤتمر العالمي بمناسبة الذكرى الألفية لوفاة الشيخ المفيد

www.allamahrizvi.com

مسألة البداء

في ضوء إفادات
معلم الأُمّة الشيخ المفيد
ـ رضوان الله عليه ـ

السيد سعيد اختر الرضوي
مؤسس وعميد لجنة بلال الاسلامية للتبشير
دار السلام ـ تانزانيا

www.allamahrizvi.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله وكفى والسلام على عباده الذين اصطفى

مسألة البداء

في ضوء إفادات

معلم الأمّة الشيخ المفيد

ـ رضوان الله عليه ـ

السيد سعيد اختر الرضوي
مؤسس وعميد لجنة بلال الاسلامية للتبشير
دار السلام ـ تانزانيا

انّ مسألة البداء من المسائل التي لم تزل معركة الآراء بين علماء الإسلام ـ فأهل السنّة يَعيبون الشيعة بسببها ويشنّعون عليهم ـ وليس منشأ ذلك إلاّ سوء تفسير البداء بأنّ الله سبحانه وتعالىٰ يتحول من عزم إلى عزم بسبب حصول العلم بشيء أو مصلحة بعد ما لم يكن حاصلاً من قبل ـ وغير خفي أنّ البداء بهذا المعنى مستحيل في حق الله سبحانه وتعالىٰ ـ والشيعة بُراء من هذا الاعتقاد ومن افترى ذلك عليهم فقد افترى كذباً عظيماً.

وإنّا إذا أمعنا النظر لوجدنا أنّ الاختلاف ليس إلاّ نزاعاً لفظياً فقط وأنّ المثبتين يثبتون أمراً والمنكرين ينكرون أمراً آخر.

www.allamahrizvi.com

فانّ البداء يستعمل في الأدب العربي لمعان شتى ــ ولكن الأصل فيه من حيث الوضع اللغوي هو « الظهور» ـ والظهور يمكن أن ينسب إلى الله سبحانه أو إلى العباد.

فكل من حمل البداء على ظهور حال الشيء للّه تعالى بعد ما كان مخفيّاً عليه فقد أنكر هذا الاعتقاد لأنّه يستلزم القول بجهل الله سبحانه و تعالى وندمه ـ تعالى ربنا عن ذلك علواً كبيراً ـ ولايقول أحد من المسلمين بذلك ـ ولذلك نرى بعض علماء الشيعة ينكرون البداء مطلقاً لأنّهم يفسرونه بهذا المعنى.

والآن نلفت النظر إلى الجهة الثانية أي نسبة الظهور إلى العبد. ويراد منه ظهور أمر للعبد بخلاف ما كان ينتظره. فالظهور بهذا المعنى يتعلق بعلم العبد ولا علاقة له بعلم الله سبحانه ـ والآية الكريمة في سورة الزمر تفسر البداء بهذا المعنى:

﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾ [١].

ويفسرها شيخنا الأجل المفيد ـ عليه الرحمة ـ هكذا:

«اي ظهر لهم(للعباد) من فعله (فعل الله)بهم ما لم يكن في احتسابهم» [٢].

واعتقاد الشيعة بالبداء مبني على هذا المعنى ويمكن دعوى إجماع الأُمّة على صحته، ومعناه أنّ البداء هو ظهور أمر غير مترقب أو حدوث شيء لم يكن في حِسبان العبد حدوثه ووقوعه فالله سبحانه وتعالى يمحو ما يشاء ويثبت في الأُمور التكوينية كما أنّه يمحو ما يشاء ويثبت في الأُمور التشريعية فانّه تعالى كل يوم هو في شأن.

وشيخنا المفيد ـ رضوان الله عليه ـ يقول في أوائل المقالات:

«أقول في معنى البداء ما يقوله المسلمون بأجمعهم في النسخ و أمثاله من الإفقار بعد الإغناء والإمراض بعد الإعفاء و الإماتة بعد الإحياء وما يذهب إليه أهل العدل خاصة من الزيادة في الآجال والأرزاق والنقصان منها بالأعمال» [٣].

وأمّا إطلاق لفظ البداء على هذا الاعتقاد فمبني على السمع كما يبينه شيخنا المفيد ـ رحمه الله ـ في نفس الكتاب:

١ـ سورة الزمر آية ٤٧.

٢ـ المسائل العكبرية، للمفيد ـ ره ـ .

٣ـ أوائل المقالات للمفيد ـ ره ـ ص ٩٢.

www.allamahrizvi.com

«فأمّا إطلاق لفظ البداء فإنّما صرت إليه بالسمع الوارد عن الوسائط بين العباد وبين الله عزّ وجلّ ـ ولو لم يرد به سمع أعلم صحّته ما استجزت اطلاقه ـ كما أنّه لو لم يرد عليَّ سمع بأنّ الله تعالى يغضب ويرضى ويحب ويعجب لما أطلقت ذلك عليه سبحانه ـ ولكنّه لمّا جاء السمع به صرت إليه على المعاني التي لاتأباها العقول ـ وليس بيني وبين كافة المسلمين في هذا الباب خلاف ـ وإنّما خالف من خالفهم في اللفظ دون ما سواه وقد أوضحت من علّتي في إطلاقه بما يقصر معه الكلام»[٤].

وتفصيل القول في هذا الموضوع يتوقف على توضيحات:

الف ـ بعض العقائد غير الإسلامية حول إرادة الله وقدرته.

ب ـ العقيدة الصحيحة الإسلامية.

ج ـ النسخ في التشريع والبداء في التكوين.

د ـ اللوح المحفوظ ولوح المحو والإثبات.

هـ ـ ما هو المراد من «بدا لله»؟

و ـ بعض أمثلة البداء من القرآن.

أ ـ بعض العقائد غير الإسلامية حول إرادة الله وقدرته:

١ ـ إنّ اليهود يعتقدون انّ الله سبحانه وتعالى قد فرغ من الأمر فلا يحدث شيئاً غير ما قدّره في التقدير الأوّل، والله تعالى حسب عقيدتهم لايقدر على تغيير شيء من ذلك ـ ولذا لا يقولون بنسخ الشرائع ـ وإلى هذا الاعتقاد تشير الآية الكريمة في سورة المائدة: ﴿**وقالت اليهود يد الله مغلولة غلّت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء**﴾[٥].

٢ ـ وفلاسفة اليونان كانوا مصرّين على نظريتهم أنّ الواحد لا يصدر منه إلاّ الواحد ـ ولذلك قالوا انّ واجب الوجود خلق العقل الأول فقط، والعقل الأول بسبب كونه ذا جهتين خلق العقل الثاني والفلك الأول ـ والعقل الثاني خلق العقل الثالث والفلك الثاني وهلم جرّا

---

٤ ـ أوائل المقالات للمفيد ـ ره ـ ص٩٢.

٥ ـ سورة المائدة آية ٦٤.

www.allamahrizvi.com

حتى وصلوا إلى العقل التاسع الذي خلق العقل العاشر والفلك التاسع، والعقل العاشر خلق باقي الموجودات.

فالله سبحانه وتعالى عندهم معطل الآن فانّه لايستطيع أن ينبّه واحداً من تلك العقول على خطاياه لأنّ هـذا التنبيه أيضاً يكون فعـلاً ثانياً وهذا محال في حق الـواحد المطلق حسب مزعوماتهم.

٣ـ أصحاب الكمون والظهور كانوا يعتقدون انّ الله سبحانه وتعالى خلق جميع الأشياء في آنٍ واحد ولاتقـدم هناك ولاتـأخر في خلق آدم وخلـق عيسىٰ ـ عليها السلام ـ وكل ما نـراه من التقدم والتأخر فإنّما هو في الظهور فقط لافي أصل الخلقة.

٤ـ والنظّام مـن المعتزلة تابع أصحـاب الكمون والظهور ولكنّه أصلحـه حسب زعمه فقال: إنّ هناك حلقة وسط بين العدم والوجـود وسماه الثبوت ومراده انّ الله تعالى قد أثبت كل شيء دفعة واحـدة في الأزل والتقدم والتـأخر إنّما يحصل في ظهـور شيء بعد شيء على منصـة الوجود.

فهؤلاء كلّهم قد عطّلوا الله سبحانه عن كل عمـل في هذه الأيام لأنّه قد فرغ من شؤون الخلق كافة يوم الأزل وقد جف القلم بما هوكائن.

ب ـ العقيدة الصحيحة الإسلامية:

أمّا الإسلام فشدّد النكير على تلك النظريات الفاسدة والتي تجعل الله معطلاً غير قادر على شيء ـ فـلا نسخ هنالك ولاتغير ولاتبـديل حسب مـزعوماتهم ـ والتي تقول انّ الـدعاء والصدقة وبر الوالدين وصلة الرحم وإكرام الجار مثلاً لاعلاقة لها بالسعادة والشقاوة.

ولكن القـرآن يقول: ﴿ألا له الخلـق والأمر﴾ [٦] ويقول: ﴿يسألـه مـن في السمٰـوات والأرض كل يوم هو في شأن﴾ [٧] ويقول: ﴿يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أُم الكتاب﴾ [٨]

٦ـ سورة الأعراف آية ٥٤.

٧ـ سورة الرحمن آية ٢٩.

٨ـ سورة الرعد آية ٣٩.

www.allamahrizvi.com

ويقول: ﴿وما يعمّر من معمّر ولاينقص من عمره إلاّ في كتاب﴾ [٩] والله تعالى يبشر عباده فيقول: ﴿فإنّي قريب أُجيب دعوة الداع إذا دعان﴾ [١٠] ويقول ﴿أُدعوني أستجب لكم﴾ [١١].

فالكتاب والسنّة والعقل كلها تدل على أنّ الله سبحانه وتعالى قادر قاهر فاعل بالإرادة وهو يحيي و يميت ويبسط الرزق ويقدر ولاتتحرك ورقة في شجرة إلاّ بإذنه ومشيئته، فجميع تغيرات العالم في التكوين والتشريع تحدث بإرادته وقدرته ومشيئته.

ونحن نعلم أنّه سبحانه وتعالىٰ قد أجرى في العالم سلسلة العلل والمعلولات والأسباب والمسببات ـ وتلك العلل و الأسباب قد تكون مادية وأُخرى غير مادية مثل الدعاء والصدقة وأمثالها من أعمال الخير كما ذكر آنفاً. فإذا اكتملت الشرائط و ظهرت العلة التامة فهنالك يوجد المعلول بإذن الله تعالىٰ وإلاّ فيؤخّر إلى وقت آخر معلوم ـ ولكنّا لانقول انّ الله سبحانه وتعالىٰ كان لايعلم متى يوجد ذلك الشيء ولا أنّ كل ذلك كان موقوفاً على أُمور كانت مجهولة لله ـ حاشاه عن ذلك ـ بل الله سبحانه وتعالى كان يعلم ـ حتى من قبل خلق العالم ـ هل تكتمل الشرائط وهل تجتمع العلة التامة في الوقت الفلاني أم لا؟ فهذا التغير أو التقدم والتأخر لايحدث في علم الله سبحانه بل في علم الملائكة الموكلين بتدبير العالم وفي بعض الأحيان في علم الحجج ـ عليهم السلام ـ الذين كان الله تعالى أخبرهم بتلك الأُمور سواء كان الخبر مقروناً بالشروط أم لا.

وأحب أن أُبين ما أُريد مقتبساً من كلام شيخنا المبجل المفيد ـ رضوان الله عليه ـ حيث يقول:

«وقد يكون الشيء مكتوباً بشرط فيتغير الحال فيه ـ قال الله تعالى: ﴿ثم قضىٰ أجلاً وأجل مسمّى عنده﴾ فتبين أنّ الآجال على ضربين: ضرب منها مشترط يصح فيه الزيادة والنقصان. ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وما يعمّر من معمّر ولاينقص من عمره إلاّ في كتاب﴾ وقوله تعالى: ﴿ولو أنّ أهل القرىٰ آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض﴾ فبيّن أنّ آجالهم كانت مشترطة في الامتداد بالبر، والانقطاع بالفسوق. وقال تعالى فيما أخبر به عن نوح ـ عليه السلام ـ في خطابه لقومه: ﴿استغفروا ربكم انّه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً...﴾ فاشترط لهم في مدالأجل وسبوغ النعم الاستغفار.

٩ـ سورة فاطر آية ١١.

١٠ـ سورة البقرة آية ١٨٦.

١١ـ سورة غافر آية ٦٠.

www.allamahrizvi.com

فلما لم يفعلوه قطع آجالهم وبتر أعمارهم واستأصلهم بالعذاب. فالبداء من الله تعالى يختص ما كان مشترطاً في التقدير وليس هو الانتقال من عزيمة إلى عزيمة ولامن تعقب الرأي ـ تعالى الله عما يقول المبطلون علوا كبيراً ـ ».(١٢)

ج ـ النسخ في التشريع والبداء في التكوين:

ينبغي أولاً أن نلفت النظر إلى ان النسخ في الحقيقة نوع من البداء كما يرى بالوضوح في كتب الصدوق ـ عليه الرحمة ـ كالاعتقادات وكتاب التوحيد ولكنّا نستعمل النسخ ههنا كقسيم البداء تبعاً للمتأخرين ـ رضوان الله عليهم ـ و آثرنا هذا الاصطلاح احترازاً عن خلط المبحث فإنّ النسخ متفق عليه بين المسلمين بخلاف البداء ـ والطريف أنّ اليهود والهندوس يوردون على النسخ نفس الاعتراضات التي تورد على البداء من قِبَل إخواننا أهل السنّة.

فالأحسن أن ننظر في قول اليهود وغيرهم على النسخ قبل الكلام في البداء.

أمّا النسخ فالله سبحانه ينزل شريعة على نبي لهداية أُمّته وتلك الشريعة تناسب مستوى الارتقاء الذهني والوضع الاجتماعي الذي تمتاز به تلك الأُمّة وقتئذٍ، والناس يكلّفون باتباع تلك الشريعة الالٰهية لإحراز سعادتهم الدنيوية والنجاح في الآخرة بالفوز بنعيم الأبد.

والوقت يمر والقرون تمضي والأُمّة تتقدم في الفكر وترتقي في المجتمع فينسخ الله تلك الشريعة بإرسال رسول جديد بشريعة جديدة لإرشاد وقيادة النوع الإنساني إلى أهداف عالية ومنازل سامية كما يقول الله سبحانه: ﴿**ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها**﴾(١٣).

أمّا اليهود والهندوس فيشنّعون على المسلمين بسبب هذا القول و يقولون: هل كان الله نسي شيئاً في الشريعة الأولى أو أخطأ فيها فاحتاج إلى إكمالها أو إصلاحها بإرسال شريعة جديدة؟

والحق انّ الله سبحانه لايسهو ولاينسى ولايخطئ ولاينـدم، ولكن الشريعة الأولى كانت

١٢ـ تصحيح الإعتقاد للمفيد ـ ره ـ.

١٣ـ سورة البقرة آية ١٠٦.

www.allamahrizvi.com

متناسبة بحـال الأُمّة في ذلك الوقت الخاص و البيئة الخاصـة وحينما تغيرت الأوضاع فانتهت فائدتها وطالب النوع الإنساني بلسان الحال شريعة أُخرى كاملة لهداية الناس إلى الملأ الأعلى.

فعلى سبيل المثال: الخياط يخيط لباساً صغيراً لطفل صغير عمره سنتان وهو يعلم حتى من قبل الخياطة أنّ الطفل سيحتاج بعد مدة قصيرة إلى لبـاس آخر يناسب جسمه آنذاك لأنّه سينمو ويكبر حتى لايمكـن له الاستفادة من هـذا اللباس. وأيضاً ليس من المعقـول أن نلوم الخياط لماذا لم يصلـح من الأول لباسـاً كبيراً لـذلك الطفل ليـمكن لـه الاستفادة منه حتـى بعد بلوغـه عشرين سنة من عمـره لأنّنا نعلم أنّ مقياس اللبـاس لايزال يتغير كل سنـة حتى يبلغ الطفل أشده وبعد ذلك يستمر بمقياس خاص يناسب جسمه إلى باقي عمره.

وهكذا يكون النسخ في الأُمور التشريعية، وكـذلك يقضي الله ويقدر بالتغير والتبدل في الأُمور التكوينيـة فيحيي زيداً ثم يميته ويفقر خـالداً ثم يغنيه ، وهذا القضاء يكـون محتوماً في بعض الأوقات وفي آونة أُخرى يكون معلقاً على شرائط، وعلى أي حال فهذا التغير في حكم الله تعالى في هـذه الموارد يسمّى بـالبداء، والله سبحـانه وتعـالى عالم بهذه التغيرات قبل خلـق زيد وخالد بل من قبل خلق الخلق كافة، كما يقول شيخنا المفيد ـ رحمه الله ـ:

«ليس البداء من الله تعالى تعقّب رأي ولا استدراك فائت ولا انتقال من تدبير إلى تدبير آخـر بحدوث علـم بما لم يكن في المعلـوم» [١٤] فمجمل القـول ههنا أنّ البـداء في التكـوين كالنسـخ في التشريع وكلاهما يـدلان على علم الله السـابق وقدرتـه البالغـة وحكمته الشـاملة وإرادته النافذة واختياره التام الكامل.

ولذا قال أبو عبدالله ـ عليه السلام ـ:

«ما بدا لله في شيء إلاّ كان في علمه قبل أن يبدو له» [١٥].

وقال أيضاً: «إن الله لم يبد له من جهل» [١٦].

١٤ـ المسائل العكبرية للمفيد ـ ره ـ.

١٥ـ الكافي، كتاب التوحيد باب البداء.

١٦ـ نفس المصدر.

www.allamahrizvi.com

د ـ اللوح المحفوظ ولوح المحو والإثبات :

ولمزيد التوضيح نقول إنّ لله سبحانه وتعالى لوحين: اللوح المحفوظ الذي لايطرأ عليه تغير أصلاً وهذا التعبير يشير إلى علم الله سبحانه وتعالى، ولوح المحو والإثبات وهذا يشير إلى علم الملائكة الموكلين بتدبير العالم وعلم الأنبياء والأئمة ـ عليهم السلام ـ فاللوحان في الحقيقة مرتبتان أو نوعان من العلم، وهذا التعبير أخذناه من صدر المتألهين والمجلسي ـ عليهما رحمة الله تعالى ـ وهم استنبطوها من قول الله سبحانه:

﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أُمّ الكتاب﴾ (١٧).

فهناك لوح سمّوه بلوح المحو والإثبات وهناك أُم الكتاب أي أصل الكتاب ولا يكون فيه محو ولا إثبات ولذلك عبّروه باللوح المحفوظ.

ولكن بعض العلماء المتأخرين لايقبلون هذا التعبير لأنّ اللوح والقلم هما ملكان حسب الروايات (كما قاله الصدوق ـ عليه الرحمة ـ في اعتقاداته) (١٨) وهذا الإعتراض غير وارد على نفس التوجيه بل إلى التسمية فقط، فإن كان اطلاق لفظ «اللوح» على العلم غير مرضي فيمكن أن نقول «أُم الكتاب» (كما هو مذكور في الآية) و«كتاب المحو والإثبات» الذي يشير إليه القرآن في هذه الآية وآية أُخرى حيث يقول:

﴿وما يعمّر من معمّر ولاينقص من عمره إلاّ في كتاب﴾ (١٩).

وشيخنا المفيد ـ رضوان الله تعالى عليه ـ أيضاً أشار إليه بلفظ الكتابة حيثما قال:

«وقد يكون الشيء مكتوباً بشرط فيتغير الحال فيه» (٢٠).

على أي حال فنقول على سبيل المثال: إنّ الله تعالى أخبر ملك الموت أنّ عمر زيد خمسون سنة أي مقتضى الحكمة أن يكون عمره كذا، فإذا وصل الرحم فيزاد في عمره عشر سنوات وإن قطعها فينقص من عمره عشر سنوات، والله سبحانه يعلم من قبل خلق الخلق أنّ زيداً سيصل رحمه ويعيش إلى ستين سنة، ولكن ملك الموت لايعلم، لأنّ علمه مشروط ،

---

١٧ ـ سورة الرعد آية ٣٩.

١٨ ـ الاعتقادات (باب الاعتقاد في اللوح) للصدوق ـ ره ـ.

١٩ ـ سورة فاطر آية ١١.

٢٠ ـ تصحيح الاعتقاد للمفيد ـ ره ـ.

www.allamahrizvi.com

فعلم الله هو اللوح المحفوظ الذي لاتغير فيه ولاتبدل وعلم ملك الموت هو لوح المحو والإثبات.

﴿وما يعمّرمن معمّر و لاينقص من عمره إلاّ في كتاب﴾ (٢١).

﴿قضى أجلاً و أجل مسمّى عنده﴾ (٢٢).

فحينما بلغ زيد أربعين سنة وأخبر الله سبحانه ملك الموت أنّه سيعمّر إلى ستين سنة لأنّه يصل رحمه فيبدو للملك من قضاء الله المحتوم ما لم يكن يعلمه ولم يكن يترقبه، وهذا هو البداء، وهذا البداء والظهور يكون في علم الملك لا في علم الله تعالى.

ومقتضى هذا البيان أنّ الله سبحانه في بعض الأحيان يخبر الملائكة والحجج ـ عليهم السلام ـ بأمر محتوم وأحياناً يُعطَون علماً غير محتوم والذي يكون معلّقاً على شرط فهم في كل آن متوجهون إلى الله تعالى للزيادة في علومهم ومعارفهم و لا يحسبون لآنٍ واحد انّهم مستغنون عن هداية الله سبحانه و إرشاده فالله تعالى أمر حبيبه خاتم النبيين ﷺ بهذا الدعاء:

﴿وقل ربِّ زدني علما﴾ (٢٣).

وأعطاه العلم بكل ما كان وما يكون إلى يوم القيامة كما روي عن أبي عبدالله ـ عليه السلام ـ أنّه قال:

«إنّ الله عزّ وجلّ أخبر محمّداً ﷺ بما كان منذ كانت الدنيا وبما يكون إلى انقضاء الدنيا وأخبره بالمحتوم من ذلك واستثنى عليه فيما سواه» (٢٤).

فهذه الرواية تدل على أنّ النبي ﷺ كان عالماً بكل ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة وكان يعلم المحتوم منها وغير المحتوم الذي عبّر عنه الإمام ـ عليه السلام ـ بقوله: «واستثنى عليه فيما سواه». وروايات كثيرة تدل على أنّ الأئمة ـ عليهم السلام ـ أيضاً كانوا عالمين بها بتعليم النبي ﷺ. ونعتقد أنّ النبي والأئمة ـ صلوات الله عليهم اجمعين ـ أخبروا بالمحتوم على سبيل القطع والبت واخبروا بما سواه على سبيل الاحتمال.

٢١ـ سورة فاطر آية ١١.

٢٢ـ سورة الأنعام آية ٢.

٢٣ـ سورة طٰهٰ آية ١١٤.

٢٤ـ الكافي كتاب التوحيد، باب البداء.

www.allamahrizvi.com

ولذا قال أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ : « لولا آية في كتاب الله لأخبرتكم بما كان وبما يكون وبما هو كائن إلى يوم القيامة، وهي هذه الآية: ﴿يمحوالله ما يشاء و يثبت و عنده أُم الكتاب﴾ [٢٥].

ومثله مروي عن الإمام زين العابدين ـ عليه السلام ـ [٢٦].

هـ ـ ما هو المراد من «بدا لله»؟

لقد مرَّ أنّ البداء معناه الظهور ولذا قال سبحانه وتعالى: ﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾.

ولكن الروايات لاتقول: «بدا من الله» بل جلها تقول: «بدا لله»، فما هو المراد من هذا التعبير؟

وفسره علماؤنا الأبرار ـ رضوان الله عليهم ـ بعبارات شتى و أحسنها وأكملها ما قال معلم الأُمّة شيخنا المفيد ـ رحمه الله ـ في كتابه تصحيح الاعتقاد وهو كما يلي:

«قول الإمامية بالبداء طريقه السمع دون العقل وقد جاءت الأخبار به عن أئمة الهدى ـ عليهم السلام ـ والأصل في البداء هو الظهور، قال الله تعالى: ﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾ يعني به: ظهر لهم من أفعال الله تعالى بهم ما لم يكن في حسبانهم و تقديرهم، وقال : ﴿وبدا لهم سيئات ما كسبوا وحاق بهم﴾ يعني ظهر لهم جزاء كسبهم وبان لهم ذلك، وتقول العرب: قد بدا لفلان عمل حسن، وبدا له كلام فصيح، كما يقولون: بدا من فلان كذا فيجعلون اللام قائمة مقامه، فالمعنى في قول الإمامية «بدا لله في كذا أي ظهر له فيه، ومعنى ظهر له أي ظهر منه » [٢٧].

و إذا وصل الكلام إلى معنى كلمة «بدا لِلّه » فأرى أن ننظر في الحديث الذي ذكره وفسره الشيخ الصدوق ـ رحمه الله ـ في اعتقاداته فإنّه يقول:

---

٢٥ ـ بحار الأنوار (الطبعة الجديدة) ج ٤ ص ٩٧.

٢٦ ـ نفس المصدر ص ١١٨.

٢٧ ـ تصحيح الاعتقاد للمفيد ـ ره ـ.

www.allamahrizvi.com

«أمّا قول الصادق ـ عليه السلام ـ ما بدا لِلّه تعالى في شيء كما بدا له في إسماعيل ابني » فإنّه يقول: ما ظهر لله سبحانه وتعالى أمر في شيء كما ظهر له في ابني إسماعيل إذ اخترمه قبلي ليعلم أنّه ليس بإمام بعدي والله أعلم [٢٨].

فالصدوق ـ عليه الرحمة ـ أيضاً يقول هٰهنا إنّ المراد من بدا لِلّه هو «بدا أمرٌ لِلّه » أي ظهر أمر الله، وهذا قريب مما قاله تلميذه المفيد ـ عليه الرحمة ـ ولقائل أن يقول إنّ أُسلوب المفيد ـ عليه الرحمة ـ أروع وأبدع وإنّه يلقي خطابه بأحسن طريق حتى لايبقى غموض في مراده.

ولشيخنا المبجّل المفيد رواية أُخرى تدل على المراد من هذه الرواية أيضاً وهي كما يلي:

« أخبرني أبو القاسم عن محمد بن يعقوب عن علي بن محمد عن إسحاق بن محمد عن أبي هاشم الجعفري قال: كنت عند أبي الحسن ـ عليه السلام ـ بعد ما مضى ابنه أبو جعفر، وإنّي لأفكر في نفسي أُريد أن أقول: كأنّهما أعني أبا جعفر وأبا محمد في هذا الوقت كأبي الحسن موسى ـ عليه السلام ـ وإسماعيل بن جعفر بن محمد ـ عليه السلام ـ وإنّ قصتهما كقصّتهما ، فأقبل عليّ أبو الحسن ـ عليه السلام ـ قبل أن أنطق فقال: نعم يا أبا هاشم ! بدا لِلّه في أبي محمد بعد أبي جعفر ما لم يكن يُعرف له كما بدا في موسى بعد مضي إسماعيل ما كشف به عن حاله وهو كما حدّثتك نفسك وإن كره المبطلون، أبو محمد ابني الخلف من بعدي، عنده علم ما يُحتاج إليه ومعه آلة الإمامة » [٢٩].

فهذه الرواية أيضا تفسر البداء بظهور ما لم يكن يُعرَف لأبي محمد الحسن العسكري ـ عليه السلام ـ قبل ذلك.

ولا بأس أن أذكر هٰهنا شيئاً آخر ـ بأدنى مناسبة ـ حول هذه الرواية الصادقية. إني كنت رأيت في الكتب الإنگليزية لِـ «ايوانوف» (Ivanov) (والتي تتعلق بالفرقة الإسماعيلية) حكاية تشبه الأساطير، ولم أجدها في مجاميع أحاديث أصحابنا إلاّ أنّه توجد الإشارة إليها في كتب الجدل والكلام، وهي هذه:

«إنّ الإمام جعفراً الصادق ـ عليه السلام ـ كان قد نص على إسماعيل ليكون الإمام بعده، ثم

٢٨ـ الاعتقادات (باب الاعتقاد في البداء) للصدوق ـ ره ـ كتاب التوحيد للصدوق (وقال فيه: إنّ الرواية فيها نظر).

٢٩ـ الإرشاد للمفيد ـ ره ـ ، ج٢ ص٣٣٧.

www.allamahrizvi.com

رأوا إسماعيل يشرب الخمر، فبدَّل الصادق ـ عليه السلام ـ النص وحوّله إلى موسى الكاظم ـ عليه السلام ـ، فسئل عن ذلك فقال: بدا لِلّه في إسماعيل».

وفرقة من الإسماعيلية كانوا يعتمدون على هذه الحكاية لإثبات النص على إسماعيل ويدَّعون أنّ تبديل النص كان لتمويه الأعداء.

وكذلك كانت هناك فرقة انقرضت والذين كانوا يعتقدون بمقتضى هذه الحكاية أنّ النص كان أوّلاً لإسماعيل ثم تحوّل إلى موسى الكاظم ـ عليه السلام ـ ولقد أشار إليها المحقق الطوسي ـ رحمه الله ـ في نقد المحصل ولكنّه أخطأ في ما أخطأ في نسبة هذه «الرواية» إلى الشيعة بدون تعيين (٣٠).

وفي هذا السياق يمكننا أن ندرك مؤدّى إفادات شيخنا المفيد ـ عليه الرحمة ـ في جواب الإسماعيلية وتفنيد قول تلك الفرقة المنقرضة:

١ـ فإنّه سئل مرة عن قول الصادق ـ عليه السلام ـ: ما بدا لِلّه في شيء كما بدا له في إسماعيل، فقال: هل يبدئ الله شيئاً ينقضه قبل تمامه؟ (٣١).

أي هل يعيّن الله إماماً ثم يميته أو ينسخ النص عليه قبل أوان امامته؟

٢ـ وأوضح مرة معنى الرواية الصادقية في هذه الألفاظ: «يعني ما ظهر له تعالى فعل في أحد من أهل البيت ـ عليهم السلام ـ ما ظهر له في إسماعيل وذلك أنّه كان الخوف عليه من القتل مستنداً والظن به غالباً فصرف الله عنه ذلك بدعاء الصادق ـ عليه السلام ـ ومناجاته بالله، وبهذا جاء الأثر عن الرضا علي بن موسى ـ عليهما السلام ـ وليس الأمر في هذا الخبر على ما ظنه قوم من الشيعة في أنّ النص قد استقر في إسماعيل فقبضه الله إليه وجعل الإمامة من بعده في موسى ـ عليه السلام ـ وقد جاءت الرواية بضد ذلك عن أئمة آل الرسول ﷺ فروي أنّهم قالوا: «مهما بدا لِلّه في شيء فإنّه لايبدو له في نقل نبي عن نبوّته ولا إمام عن إمامته ولامؤمن قد أخذ عهده بالإيمان عن إيمانه» (٣٢).

٣ـ «وعلى ذلك إجماع فقهاء الإمامية ومعهم فيه أثر عنهم ـ عليهم السلام ـ أنّهم قالوا: «مهما

٣٠ـ بحار الأنوار ج٤ ص١٢٣.

٣١ـ المسائل العكبرية للمفيد ـ ره ـ.

٣٢ـ نفس المصدر ص ٢٢٤ـ ٢٢٥.

www.allamahrizvi.com

بدا لِلّه في شيء فلا يبدو له في نقل نبي عن نبوّته ولا إمام عن إمامته ولامؤمن قد أخذ عهده بالإيمان عن إيمانه، وإذا كان الأمر على ما ذكرناه فقد بطل أيضاً هذاالفصل الذي اعتمدوه وجعلوه دلالة على نص أبي عبد الله ـ عليه السلام ـ على إسماعيل ».[٣٣]

و ـ بعض أمثلة البداء من القرآن :

والآن ينبغي التوجه إلى تعريف البداء المتقدم ومؤداه أنّ البداء لا يطلق على كل تغير في التكوين بل على ظهور أمر غير مترقب الذي لم يكن بحسبان العبد حدوثه، كما يقول شيخنا المفيد ـ رحمه الله ـ : « وإنّما يوصف منها بالبداء ما لم يكن في الاحتساب ظهوره ولا في غالب الظن وقوعه »... فهو خاص فيما يظهر من الفعل الذي كان وقوعه يبعد في النظر دون المعتاد، إذ لو كان في كل واقع من أفعال الله تعالى لكان الله تعالى موصوفاً بالبداء في كل أفعاله وذلك باطل بالاتفاق »[٣٤].

وإن أحببنا الاطلاع على المصداق الأكمل و المظهر الأتم للبداء فينبغي النظر إلى بعض أمثلته في كتاب الله العزيز:

١ ـ ذبح إسماعيل ـ عليه السلام ـ:

فلنذكر أوّلاً قصة ذبح إسماعيل ـ عليه السلام ـ، فالقرآن يقول: ﴿ فلمّا بلغ معه السعي قال يا بني إنّي أرى في المنام أنّي أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين * فلما أسلما وتله للجبين * وناديناه أن يا إبراهيم * قد صدقت الرؤيا إنّا كذلك نجزي المحسنين * إنّ هذا لهو البلاء المبين * وفديناه بذبح عظيم﴾[٣٥].

فالآيات والروايات تدل على أنّ إبراهيم الخليل رأى في المنام مرة بعد أُخرى أنّه يذبح ولده إسماعيل ـ سلام الله عليهما ـ لمرضاة الله سبحانه ولأنّ رؤيا النبي تكون وحياً من الله فشمر ذيله

٣٣ـ الفصول المختارة للمفيد ـ ره ـ ص٢٥١.

٣٤ـ تصحيح الاعتقاد للمفيد ـ ره ـ.

٣٥ـ سورة الصافات آية ١٠٢ـ١٠٧.

www.allamahrizvi.com

لتعميل أمر مولاه واستشار إسماعيل فأجابه بثبات القلب: ﴿**يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين * فلما أسلما وتله للجبين**﴾ وانحنى إليه بالسكين فلّب جبرئيل السكين وجاء بكبش ووضعه مكان إسماعيل، أمّا إبراهيم فهو لا يعلم شيئاً من هذه التحولات لأنّه كان شدَّ عصابة على عينيه، فذبح بقوة العزم وصلابة الإيمان واطمئنان القلب ما كان يحسب أنّه ابنه الوحيد، ولكنّه لما حلَّ العصابة رأى عند قدميه كبشاً مذبوحاً ووجد إسماعيل قائماً عنده صحيحاً سالماً بدون أي جراحة وحينئذٍ نودي: ﴿**يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنّا كذلك نجزي المحسنين**﴾.

وهذه الواقعة تشير إلى حقائق:

الأوّل: إنّ ابراهيم ـ عليه السلام ـ كان يرى في المنام أنّه يذبح إسماعيل وتبعاً رأى كيفية ذبحه أيضاً فنحن نستيقن أنّه اتبع تلك الكيفية حينما أراد ذبح ولده لأنّ تلك الرؤيا كانت وحياً من ربّه ومعناه أنّه حينما شد العصابة على عينيه فإنّما فعل ذلك اتباعاً لما رأى نفسه يفعل في الرؤيا. وهذا يستلزم أنّه لم يكن رأى في الرؤيا نتيجة عمله والمرحلة النهائية لاستسلامه وانقياده، بسبب غموض عينيه في تلك المرحلة في الرؤيا أيضاً (ولعلّه لهذا السبب قال لولده: ﴿أنّي أذبحك﴾ ولم يقل« إنّي ذبحتك») فحينما ناداه الله سبحانه: ﴿**أن يا إبراهيم قد صدّقت الرؤيا**﴾ فإنّما كان هذا على سبيل الحقيقة لا المجاز وإنّ إبراهيم الخليل قد أنجز حقّاً كل ماكان رأى نفسه يعمل في الرؤيا.

الثاني: وبهذا يتضح لماذا أمره الله سبحانه وتعالى بواسطة الرؤيا ولم يرسل إليه ملكاً أو لم يلهمه بذبح ولده، لأنّ الوحي الملفوظي كان مستلزماً أن يقال لإبراهيم: اذبح ولدك إسماعيل ، ولكن المطلوب لم يكن ذبحه بل تهيّؤ إبراهيم الخليل للذبح فقط وكان الأمر بذلك للامتحان والابتلاء، فلمّا استسلما لحكم الله فقد ظهرت مدارج انقيادهما وتسليمهما لأمر الله: ﴿**وكذلك نجزي المحسنين * إنّ هذا لهو البلاء المبين**﴾.

الثالث: إنّ الله عزّ وجلّ لم يظهر علمه المكنون لإبراهيم ـ عليه السلام ـ ولم يشاهد إبراهيم المرحلة النهائية لسعيه في ذبح إسماعيل، لأنّه كان منافياً لمصلحة الإختبار والإبتلاء ومضاداً لما كان المقصود من هذا الأمر أي ازدياد مراتب إبراهيم و إسماعيل ـ عليهما السلام ـ.

ففي هذه الواقعة ستر الله المرحلة النهائية للعمل المطلوب و بهذا وقع البداء في علم إبراهيم و إسماعيل ـ عليهما السلام ـ وظهرت النتيجة بخلاف ما كانا يتوقعانها.

www.allamahrizvi.com

٢ـ إعطاء التوراة لموسى ـ عليه السلام ـ:

والقصة الثانية تتعلق بموسى ـ عليه السلام ـ حينما دعاه ربه إلى الطور لإعطاء التوراة فأمره الله أن يصوم ثلاثين يوماً ثم يجيئ إلى الطور واستاك موسى ـ عليه السلام ـ في اليوم الثلاثين قبل ذهابه إلى الطور. فأمره الله سبحانه بصيام عشرة أيام أُخر وأن يجيئ في اليوم الأربعين بدون استياك. ويذكر القرآن هذه المواعدة في هذه الألفاظ:

﴿وواعدنا موسى ثلٰثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربّه أربعين ليلة﴾ (٣٦).

فالآية تقول صريحاً إنّ ميقات ربّه كان أربعين ليلة ومع ذلك أخبر الله سبحانه موسى بذلك الميقات الإلهي في مرحلتين: فأوّلاً أمره بصيام ثلاثين يوماً ثم أتمه بعشر، ولكن الميقات في العلم الإلهي كان أربعين ليلة من أوّل الأمر، ولذا نرى القرآن يستعمل اسلوبين لذكر الميقات فإذا نظر إلى موسى ـ عليه السلام ـ وعلمه فيعبّره في مرحلتين: ﴿ثلٰثين ليلة وأتممناها بعشر﴾ وإذا نظر إلى علم الله عزّ وجلّ فيقول: ﴿أربعين ليلة﴾ وكذلك يقول في سورة البقرة:

﴿وواعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون﴾ (٣٧).

وهذه الآية تشير إلى المصلحة التي كانت ملحوظة في إخبار موسى ـ عليه السلام ـ في مرحلتين كما يقول أبو جعفر ـ عليه السلام ـ:

«إنّ موسى لما خرج وافداً إلى ربّه واعدهم ثلاثين يوماً فلما زاد الله على الثلاثين عشراً قال قومه: أخلفنا موسى فصنعوا ما صنعوا» (٣٨).

والله سبحانه وتعالى يذكر هذه الواقعة في سورة طٰهٰ هكذا:

﴿وما أعجلك عن قومك يا موسى* قال هم أُولآء على أثري وعجلت إليك ربّ لترضى * قال فانّا قد فتنّا قومك من بعدك وأضلّهم السامري* فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا قال يا قوم ألم يعدكم ربّكم وعداً حسناً أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم

٣٦ـ سورة الأعراف آية ١٤٢.

٣٧ـ سورة البقرة آية ٥١.

٣٨ـ بحار الأنوار ج٤ ص١٣٢ ، تفسير الميزان ج٨ ص٢٦٦ نقلاً عن تفسير العياشي.

www.allamahrizvi.com

غضب من ربّكم فأخلفتم موعدي* قالوا ما أخلفنا موعدك بمَلكنا ولكنّا حُمّلنا أوزاراً من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامري* فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار فقالوا هذا إلٰهكم وإلٰه موسى فنسى * أفلا يرون ألاّ يرجع إليهم قولاً ولا يملك لهم ضرّاً ولا نفعاً﴾ [٣٩].

فظهرت المصلحة لماذا لم يأمر الله عزّ وجلّ موسى ـ عليه السلام ـ بصيام أربعين يوماً من أول الأمر لأنّه لو كان كذلك لم يبق مجال لابتلاء بني إسرائيل وامتحان قلوبهم بالإيمان.

فهذه القصة ترشدنا إلى حقائق تالية:

الأوّل: إنّ الله سبحانه وتعالى في بعض الأحيان لايظهر الملائكة ولاالنفوس القدسية على علمه المكنون وقضائه الحتم في أوّل وهلة، بل يخبرهم بذلك في مراحل، وهذا يبتنى على مصالح العباد كامتحانهم وابتلائهم أو عوناً على هدايتهم وغير ذلك.

الثاني: إنّ أُمّة موسى ـ عليه السلام ـ ارتدت عن دين الحق واتخذت عبادة العجل وأشركت لمّا تأخر موسى ـ عليه السلام ـ عنهم لعشرة أيام فقط، مع أنّه كان حياً وكانوا ينتظرون رجوعه إليهم، فظهر أنّ ضلال الأُمّة وطغيانها وغوايتها في غيبة النبي أو بعد موته في أقصر مدة ليس بشيء غريب يُستعجب منه.

الثالث: ويظهر من آيات سورة طٰه أنّ موسى ـ عليه السلام ـ لم يكن أخبرهم على سبيل القطع و الحتم أنّه سيرجع إليهم بعد ثلاثين يوماً البتة، فإنّه يقول: **﴿يا قوم ألم يعدكم ربّكم وعداً حسنا أفطال عليكم العهد... فأخلفتم موعدي﴾** لأنّه لو كان واعدهم أنّه سيأتي بالتوراة في اليوم الثلاثين قطعاً وحتماً لكان لهم أن يجيبوا: نعم لقد طال علينا العهد وأنت أخلفت موعدنا فأخلفنا موعدك، فيعلم من هذا أنّ الأنبياء والأئمة ـ عليهم السلام ـ حينما يخبرون الناس عن مثل هذه الأُمور الغير المحتومة فلا يخبرونهم على سبيل البت و القطع بل على سبيل الاحتمال القوي كما دلت الآية المتقدمة أنّ موسى ـ عليه السلام ـ كان واعد قومه أنّه يرجع إليهم بعد شهر واحد ولكن لا على سبيل القطع، ولذلك أفاد الشيخ الطوسي ـ عليه الرحمة ـ (كما نقلوه عنه) «انّ الحجج ـ عليهم السلام ـ لم يخبروا قط بشيء يقع فيه البداء على البت».

٣٩ـ سورة طٰه آيات ٨٩ ـ ٨٣ وانظروا أيضاً سورة الأعراف آيات ١٥٢ ـ ١٤٨.

www.allamahrizvi.com

٣ـ كشف العذاب عن قوم يونس ـ عليه السلام ـ:

قال الله سبحانه وتعالى:

﴿فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلاّ قوم يونس لمّا آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدّنيا ومتّعناهم إلى حين﴾ [٤٠].

ويظهر من الروايات التفسيرية أنّ النبي يونس ـ عليه السلام ـ أنذر قومه وهددهم بنزول العذاب في مدة ثلاثة أيام، ثم تركهم وخرج من بينهم وخرج معه صحابي له عابد ولكن صحابياً آخر الذي كان عالماً بقي فيما بينهم وكان هو بنفسه بين الخوف والرجاء فبدأ توبيخهم و تهديدهم وقال لهم إنّ عذاب الله لآتٍ لا محالة إلاّ أن ينيبوا ويتوبوا إلى الله تعالى ويؤمنوا به وبنبيّه يونس ـ عليه السلام ـ فآمنوا بصميم قلوبهم وحسن إسلامهم وبدأوا بالتضرع والابتهال والاستكانة لله تعالى. فجاءت سحابة العذاب واستقرت على رؤوسهم ثم كشفها الله عنهم كما تدل عليه الآية الكريمة.

ويستنبط من هذه القصة أنّ النبي يونس ـ عليه السلام ـ كان توعدهم بنزول العذاب إن لم يؤمنوا لأنّه لو كان أخبرهم بقضاء حتم لم يبق مجال لصاحبه أن يحثهم على الإسلام ويدعوهم إلى التوبة والإنابة والتضرع والابتهال وكذلك لو كان هذا القضاء حتماً لم يكن لإيمانهم نفع و لا أثر ولكانوا من الهالكين.

ولكنّهم آمنوا فنجّاهم الله من العذاب، ولو لم يؤمنوا لنزل عليهم العذاب لامحالة، فظهر من هذا أنّ العذاب كان مشروطاً بعدم إيمانهم ولما فات الشرط فات المشروط، وبهذا وقع البداء في علم يونس ـ عليه السلام ـ (لأنّه كان لايظن أنّ قومه سيؤمنون) وقوم يونس جميعاً.

فهذه من المصاديق الكاملة للبداء بالمعنى الذي أفادنا شيخنا المفيد ويُرى فيها جهات عديدة لوقوع البداء.

وفي الختام نذكر روايات أبدى فيها أبو عبد الله والرضا ـ عليهما السلام ـ أهميّة هذه العقيدة:

١ـ عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله ـ عليه السلام ـ انّه قال: ما عظم الله بمثل البداء [٤١].

٤٠ـ سورة يونس آية ٩٨.

٤١ـ الكافي كتاب التوحيد باب البداء.

www.allamahrizvi.com

٢ـ عن مالك الجهني قال سمعت أبا عبد الله ـ عليه السلام ـ يقول:

لو علم الناس ما في القول بالبداء من الأجر ما فتروا عن الكلام فيه.(٤٢)

٣ـ عن عمرو بن عثمان الجهني عن أبي عبدالله ـ عليه السلام ـ قال: إنّ الله لم يبد له من جهل.(٤٣)

٤ـ عن الريان بن الصلت قال: سمعت الرضا ـ عليه السلام ـ يقول: ما بعث الله نبياً قط إلاّ بتحريم الخمر و أن يُقِرّ لِلّه بالبداء.(٤٤)

وينبغي أن نلفت النظر إلى أنّ إخواننا أهل السنّة أيضاً يعتقدون بهذه الأُمور ولكنّهم لايسمّونها البداء ولاحاجة لإطالة الكلام بنقل أقوالهم هٰهنا، ومن أراد الاطلاع فعليه بمراجعة تفاسير فخر الدين الرازي والزمخشري والبيضاوي تحت الآية الكريمة: ﴿**يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أُم الكتاب**﴾.

٤/ رجب المرجب/ ١٤١٣ هـ.ق

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

٤٢ـ الكافي كتاب التوحيد باب البداء.

٤٣ـ نفس المصدر.

٤٤ـ نفس المصدر.

www.allamahrizvi.com

کنگرهٔ جهانی هزارهٔ شیخ مفید

1000th ANNIVERSARY
INTERNATIONAL CONGERESS
OF (SHEIKH MOFEED)

www.allamahrizvi.com